

الأحمـد 2008-08-10

345- الإشراف على العلاج النفسي (13)

إبعد عن المبدع، ولا تَخَلِّشْ عنه

د / محمود نصر:

.....، هي روائية مبدعة، مترجمة وصحفية، لكن هي مبدعة أساساً، ولها وزنها، وكانت تعبت قوى، لدرجة احتاجت تدخل حاسم، ومستشفى، وكده، وخرجت كويسة جداً، وتابعت معايها بانتظام، وكان بداية تعبها إنها كانت شغالة في رواية، وحت لها كده أفكار خاطئة عن اضطهاد ومؤامرات من الناس، وحاجات من دى طول الوقت، كنت مديها سماح يعنى إن إحنا نتكلم في احتمال إن الحاجات دى مش أكيدة على الأقل مش 100% ومافيش داعى نطول في الكلام عليها، المهم ركزنا على الانتظام في الشغل والانتاج، وبقت تروح شغلها بانتظام وهي شغالة في نفس الوقت مترجمة، والحقيقة ملتزمة تماماً، وكانت ماشيه كويس، وبصراحة كويس قوى، بس طول الوقت تيجى متأزمة، وتتعيط كثير، وتعب عن خوف رهيب في البيت، وحاجات زى كده، أنا بازود في الدواء وانقضه على حسب الأعراض بتاعتها، ومابرضاش أزود فيه عشان أحافظ على حيويتها ونشاطها الذهني والإبداعى بصراحة.

د / يحيى: طب وبعدين؟ ما هو كله ماشى تمام أهه، برافوا عليك أنت وهي

د / محمود نصر: فجأة، المرة اللى فاتت يوم الحد، جت قالت لى أنا اكتشفت إكتشاف مهول

د / يحيى: خير !!

د / محمود نصر: قولت لها إيه؟ قالت اكتشفت إن أنا مجنونة، فقلت لها إزاي؟ كانت قريت تخلص الرواية بتاعتها الجديدة، هي ادتنى أول فصلين علشان أراجعهم، كان فيه حاجات مش مرتبطة كده على خفيف بس يمكن العيب منى

د / يحيى: ياه!! هي دى الست الجميلة اللى اداتنى روايتها هدية

د / محمود نصر: أيوه، هي بتقدر إبداع حضرتك جدا

د / يحيى: هو العمل اللي ادا تهوى ده كويس جداً، رواية أصيلة بجد

د / محمود نصر: أنا خدته معايا خميس وجمعة، وبصراحة ماخقتش أقراه كويس.

د / يحيى: هو عمل عايز يتقرا بجد، يتقرا وأنت قاعد أو حتى واقف، مش وانت متصطحح، إنت رأيك فيه أيه؟

د / محمود نصر: هي فعلا موهوبة، وتبان أصغر من سنها

د / يحيى: ماشى كمل كمل أنت شفت الإهداء اللي هي كتبتها

د / محمود نصر: آه شوفته آه

د / يحيى: واتغظت طبعاً

د / محمود نصر: آه طبعاً

د / يحيى: برافوا عليك، إنت جميل شايف مشاعرك صح، كده في السليم، كمل بقي، جرى إيه بعد ما قالت انها اكتشفت إنها مجنونة وبعدين؟

د / محمود نصر: قالت لي أنا سحبت الرواية (الجديدة) اللي هي كانت جاهزة خلاص على أساس إنها تقدمها للناس، قامت راحت سحبتها

د / يحيى: يا خير!! ليه؟ ليه عملت كده

د / محمود نصر: اللي حصل إنها لما كتبتها، وأنا كنت ماشى معاها فصل بفصل وباحطها شوية ملاحظات وكده على الفصلين اللي اديتهم لي، هي استعجلت وراحت إدها للناس، كان كلمها استعجلها فقالت له أنا خلصت الرواية قال لها طب ماجيبها

د / يحيى: وبعدين؟

د / محمود نصر: هي حطتها على CD وطبعتها وقعدت تفراها بعد التنسيق، فاكتشفت بقي إن القصة فيها تحاريف زيادة، وحاجات من الأفكار اللي بتقولها لي في الجلسات، فاتخضت واكتشفت الاكتشاف اللي قالت عليه ده، وراحت سحبت الرواية وقالت للناس أنا حا أجل نشر الرواية دلوقتي على أساس إنها حست إنها كده بتظلم نفسها وبتظلم قراءها، على أساس إنها مخرفة في الرواية، أنا ما فهمتش قوى عشان هي قالت لي أنا حاسيب الرواية خالص دلوقتي، وحاركنز في شغلي، أنا بصراحة حسيت من جوايا إن فرحت شوية.

د / يحيى: ليه بس يا محمود يابني

د / محمود نصر: أنا حقول خضرتك ليه، لأن أنا حسيت إن الرواية دي يعني فيه حاجات كتير اوى راجعه للأفكار المرضية

بتاعتها يعني بشكل غير مترابط، حتى في الكتابات بتاعتها اللي أنا شفتها ومعلم لها عليها، يعني بس في نفس الوقت محضوض من إن هي حاتعمل إيه إذا كانت كتابة الرواية نفسها كانت بتديها دفعة ولّمة، يعني بتحتويها شوية، زي ما يكون يادكتور يحب بتخش في حالات فركشة وتطلع منها برواية، فركشة وتلم، بس زي ما تكون المرة دي الفركشة ماكتش على شكل أحسن، فضلت شوية أفكار مرضية، يعني لسه بتقول رغم إنى إكتشفت إن أنا مجنونة لكن لسه الاعتقادات اياها عندها زي ما هي، يعني البصيرة مانفعتهاش قوى

د / يحيى: وانت ولا هي بتفرق بين الأفكار المجنونة واللى مش مجنونة ازاى؟ المهم: السؤال بقى!؟

د / محمود نصر: السؤال مش عارف أعمل إيه

د / يحيى: إنت عملت عمل من أغرب ما يمكن ، مش عايز أقول لك كلام جامد، بس انا متغاظ، وماسك نفسي، هي واحدة مبدعة مبدعة، وروايتها اللي شفتها، ولما قابلتها وكلمتها، عرفت إنها أصيلة فعلا، تقوم انت، وانت دكتور معالج، تراجع عمل أصيل أثناء كتابته، وتبدي ملاحظتك، ولا انت ناقد ولا حاجة، وحتى لو كنت ناقد يا شيخ، الناقد مالوش دور أثناء الكتابة، إنت قارئ جيد صحيح ولكن فيه عامل مهم في الموضوع، زي ما يكون انت خلطت دور المعالج، مع الصديق، مع القارئ، مع الناقد، ماينفعش إنك انت أثناء العلاج تخرج من الموقف العلاجي إلى موقف تاني بالسهولة دي، المبدع، مريض أو مش مريض، وهو بيشتغل في العمل، إذا كان إبداع حقيقي يعني مش فته، ماينفعش أى آخر يقعد يراجع، حتى هو نفسه لما يراجع بيبقى بيدع من جديد مش بيبقى وصى على نفسه، مايصحش يلعب فيه بالشكل ده، أنا لما قدمت رواية السراب بتاعة نجيب محفوظ في ندوة ثقافية بعد خمسة وخمسين سنة من قرايتها أول مرة، لقيت فيها مناطق لغوية شديدة القبح، وتأكدت إن هو لما قال لنا إنه ماقرأش أى عمل له بعد طباعته، إنه كان صادق وبيعلمنا حاجة، وأنا لما جيت أراجع دلوقتي الرواية بتاعتي عشان الطبعة الثانية طبعاً لقيت فيها حاجات عايزة تصليح، ماقدرتش أقرب لها، الجزء الأول، الواقعة، ماغيرتش فيه حاجه، غير غلطة مطبعية، كلمة ناقصة، وخلص. إنما الجزء التاني بتاع مدرسة العراة، مع إنه مكتوب بطريقة فنية 100% لقيت نفسي في حيرة شديدة جداً، أنا نفس المؤلف، وأنا اللي بقراه وبعامل مراجعة، ومن حقى أغير، ودى طبعة تانية، لقيت ماينفعش، دا مش عمل علمي، ولأ كتاب مدرسي، تقوم تبقى دي طبعة مزيدة ومنقحة، لأ، دي رواية كلها حوارات، وأحداث تلقائية،

ماينفعشى يا محمود يا بني إنك تراجع رواية لواحدة بهذه الأضالة، والعمق، واحدة بتخاطر بمغامرات الكشف حتى المرض، تقوم تيجي انت تراجع لها روايتها أثناء كتابتها، وكمان تقول ملاحظتك وتربط بينها وبين أعراضها، لا .. لا .. لا ..

وكمان تفرح إنها سحبتها من الناشر!!! يا شيخ حرام عليك،
إنت طبعا عملتها بحسن نية، وباجتهاد رائع، لكن ده مش
حلو، لا لك ولا لها ولا للعلاج

د / محمود نصر: ما أنا بأسأل عشان كده، حسيت إن فيه
حاجة لازم أتكلم فيها.

د / مجي: هي إداها لك من خلال ثقتها فيك طبعا وده
كويس، لكنها اداتهاك أثناء اهتزازها المرهلي، وهي الظاهر
خلطت هي كمان بين اهتزازها كمريضة وبين اهتزازها الرائع
كمبدعة، هي عارفة - في الغالب - إن اللي عملته معاك في
حكاية الرواية دي، مش حلو إبداعيا، أنا باتكلم من خبرتي
الخاصة وأنا باكتب، إسمح لي أقول لك مازق شخصي يمكن ينفعنا:

أنا اكتشفت إن فيه حاجة معطلان شويتين في انطلاقتي في
الكتابة الإبداعية، ما هو علشان تبقى مبدع بحق وحقيق، لازم
يبقى فيه حته ضلمه في وجودك، و ضلمه أوى وما تعرفش انت
هيه أنهى حته، والحدوتة بتاعتك اللي بتتسنج منك وانت
بتبدع، تلاقى نفسك تحش في الحته الضلمة دي وتطلع من غير ما
تعرف تحددها : إمتي دخلت، وإزاي خرجت، لكن تبص تلاقى نفسك
مش شايف إلا الناتج بتاع العملية كلها، ولو مافيش حتت
ضلمه، يمكن ماتقدرش تبدع إطلاقا، وبرضه لو الحته الضلمة دي
متسنكره بالضمة والمفتاح، ما تقدرش تبدع برضه .

الحكاية دي عملت لي مشكلة مجد، يعنى إزاي أبداع وانا
متصور إن شايف كل حاجة، أو بيتهيأ لي كده، بأمانة إيه
يعنى!! ما ينفعش، إنما لما تكون حته ضلمه وحركية الإبداع
بما فيها من زخم شديد جداً شغالة، وتلاقى نفسك لازم تعدى
البرزخ الضلمه ده، وانت بتعدى البرزخ، ومانتش عارف إنك
بتعديه، ساعات يتنور منك غضب عنك، فتكمل، وتبص تلاقى
نفسك الناحية الثانية، وتلاقىك طالع منه وف إيدك إالى
فيه القسمة، المتصوفه غالبا مايقدروش يكتبوا قصص،
مايقدروش يكتبوا إلا قصة خيبرتهم، وأظن أغلب الصادقين ما
بيكتبوش حاجة، حتى مولانا النفري قالوا إنهم كتبوا عنه مش
هوه اللي كتب، أصل مش ممكن الرؤية اللي بتنور كل المسرح
بنور باهر قوى تسمح بإنك توصف أى حاجة بأى حد، عينيك
تعشى، بعض المتصوفة الخلوين، يمكن يكتب حكمة هنا كلمتين
وبس، يشاور على موقف، وانت ومجتك، يا يوصلوك يا ما
يوصلوش، حاجة كده زى اللي عملها مولانا النفري، إنما إن
المتصوف يكتب قصة أو رواية فيها فلانة جت، وفلان راح،
وقال وقتله، لا لا .

د / محمود نصر: يعنى إيه؟

د / مجي: إالى عايز أقولها لك إن الإبداع، وحتى النقد
وهو برضه إبداع، ما بيحاسبشى النص بالحسابات العادية،
وإن البنى آدم، مريض أو سليم، ما فيش فائدة، لأبد إنه
يتنيه سر غامض على نفسه، وعلينا، وإن احنا إننا نشغل في
الى نقدر عليه، إننا نخلي كل واحد يواصل المشى، يكمل،

يعيش، صحيح أزمت المرض بتدى فرصة للمراجعة، لكن لا هية ولا العلاج بيسمحو بمعرفة كل حاجة كده عالمفتشر، الواحد ياخذ بإيد العيان بعد ما وقع، يقومه، ويمشى جنبه، واحدة واحدة، وتخللى اللى جوا جوا إلا لو فرض نفسه علينا، وعطل اللى احنا بنعمله، دى حاجة تانية، أما اننا نقعد نفجر، ونفسر، حتى فى شغل المبدعين، أو ننتهزها فرصة وهات يا تفتيش، وفتاوى وتفسير، لحد ما يتهيا لنا إن الدنيا نورت، وفى الحقيقة نكون أنكرنا أو قفلنا على الزوايا الضلعة الرائعة اللى بتطلع لنا الحاجات الخلوة دى كلها، فاسمح لى، سيك من الحداقة بتاعة التحليل النفسى والاجترار الكلامى والفتاوى العلمية الجاهزة يا شيخ، وخلي الناس تعيا وتحف، تقع وتقوم، وتضيف اللى تقدر عليه ما دام رجعت تاخذ وتدى.

د / محمود نصر: وأنا إيش عرفنى؟ دلوقتى أعمل إيه معاها؟

د / يحيى: شوف اما أقول لك: إنها تكتشف أنها مجنونة من خلال روايتها ماشى، إنما إنها تسحب الرواية من الناشر وترجع تعديلها بموافقتك عشان الاكتشاف ده، مش ماشى ولا نص مللى!!!!!! على فكرة، دا أحياناً تبقى المسودة أرقى بكثير جداً من التعديل، بقولك ساعات، مش دايمًا، المسودة بيبقى التخطيط فيها سريع وتلقائى، إنما التعديل يبقى ابتدئنا نولع النور، ونمسك العدسة المكبرة، والأستيكة، وربنا يستر بقى.

د / محمود نصر: يعنى أعمل أيه؟

د / يحيى: أنا مش عارف، أنا خايف على العمل، وخايف عليها، كتر خيوك، إنت عملت حاجات كتيرة كويسة، هى ما دام بتثق فيك يبقى تقدر توصل لها، ولنفسك، حاجات كتير، الثقة فيك كطبيب ما يصحش تبقى هى هى الثقة فيك كناقذ، أو حتى قارئ فهمان، فض الاشتباك بين الأدوار اللى دخلت فى بعضها ده مهم جداً، وما دام هى تعرفنى بالصفات دى مع بعض، واحنا متفقين كل أربع مرات أو حسب ما تشوفوا إنكم تقابلون وأشوف المريض معاكم كل ما يلزم، فأنا رأى إنك تيجى إنت وهى، وأشد ودانها وودانك قدامها، واحاول أبين لكم إن اللعب فى الإبداع بالشكل ده يعتبر وصاية ممكن تكون له نتائج زفت، مش معنى كده إنى أهز صورتك قدامها، إنما أقول اللى انا قلته دلوقتى بشكل تانى، إمال إشراف يعنى إيه، إنت عملت اللى عليك، وهى بنت حلال.

د / محمود نصر: هى كانت متراخية خالص فى تخلص الرواية حتى كان عندها الأفكار اياها وهى بتكتبها على الكمبيوتر ومع ذلك كتبتها بس ..

د . يحيى (مقاطعا) ما أنا بقول لك أهه، أحسن حاجة تعملها هى إنها تحط اللى عملته بين قوسين من غير ماتقربله دلوقتى، وتروح راكنه كل الحدوته دى شوية، وانت تبطل كلام فى الرواية ولا تأخذ منها ولا فصل واحد بعد كده، وتلزم دورك كمعالج

د / محمود نصر: الحقيقه يادكتور يحيى أنا كان هدفي إن أنا أديها ثقة في الشغل يعنى

د / يحيى: كتر خيرك، لكن برضه، يعنى حكاية إنك تزقها عشان تخلص الرواية شيء وإنها تاخذ رأيك أول باول في اللي بتكتبه دلوقتي شيء تاني، ممكن إنك مثلاً تقرأ رواية هي كتبتها من زمان ونقول رأيك، إذا طلبته، بما يفيد العلاج، إنما إنها تاخذ رأيك في اللي بتكتبه دلوقتي، أثناء إعدادها وقبل تقديمها للناس فيفتح الله، خلى بالك هي مش مبتدئة ناقصة تشجيع، هي خلاص أثبتت نفسها فعلاً، وهي مبدعة فعلاً، مش معني كده إن أي حد مبدع مهما بلغ مش محتاج تشجيع ورؤية وحتى تصحيح، وإلا تبقى وظيفة النقد إيه بقى!؟

د / محمود نصر: لأ، دا مش بس أثناء الكتابة، دي بعد ما خلصتها تراجع على أساس إن أنا أبدى ملاحظاتي قبل التشطيب النهائي.

د / يحيى: يا بو حنفي دي مخاطرة حقيقية، أنا مش باقلل من قيمة ملاحظاتك على اللي بتكتبه، إنما اللي انت بتعمله ده حتى لو بناء عن طلبها، دا ضد الإبداع وضد العلاج حتى وضدها، وضدك انت كمان. والنبي ربنا يخليك تاخذ بالك من خلط الأدوار تستشير مرة واثنين وثلاثة، أنا باحب البنية دي، وباحب شغلها، وفي نفس الوقت إحنا دكاترة، وصحتها وسلامتها لازم يكونوا دايمًا على العين والرأس.

د / محمود نصر: طيب إذا كان كده أجيبها لخصرتك بقى يوم الأربعاء اللي جى

د / يحيى: ما تستعجلش عشان ثقتها فيك، أنا باتكلم في الموضوع ده حفاظاً على الرواية وحفاظاً على العلاقة معاك، بلاش دلوقتي لو سمحت، أنا لما بيحيلي ناس مبدعين، هم مش كثير، تشكيليين، روائيين، مخرجين، شعراء، كلام من ده، مابعالجهمش، لحد ما واحده كتبت رواية عن حياتها تقريبا، أشبه بسيرة ذاتية، ووصفت موقفى ده فيها، هي جوزها فنان رائع، وكتبت إنى رفضت أعالجه بادعاء إنى خايف على فنه، هي ما ذكرتنيش بالاسم، لكن وصفت الموقف في القصة واستغربت إنها فاكرة الحوار بالخرف الواحد، مع إن الحكاية بقالها سنين، الوصف اللي وصفتي بيه في الموقف ده كان بالغ الدقة والدلالة، هي قالت على "هو رجل يعرف كيف يتخلى". إنت بتتخلى عشانه، مش بتتخلى عنه، أنا عرفت من خبرتي إن حسن التخلى نفسه مسئولية أكبر من شهامة التصدى، وأصعب، صحيح أنا فاكر انى تخلت عن المبدع ده، رفضت فتح باب العلاج النفسى بالكلام والتقليب، مش معني كده إن المبدعين مش مفروض يعيوا، وإذا عيوا ما يتعاجوش، لأ طبعاً، لو واحد مبدع بيمر في أزمة شديدة معطلة لازم يبقى فيه تدخل علمي مسئول، زى بنتنا دي، بس يكون دورنا دور علاجي داعم بالأصول، ساعات باحس في الأحوال دي إن إحنا زى السنيده كده من بعيد لبعيد، أو حاجة كده زى ما تقول "تحت الطلب"، لو الأمور أحتاجت قوى.

د / محمود نصر: متشكر

د / يحيى: ربنا يحليك.

- نكرر: الأسماء وأية تفاصيل دالة على الطبيب أو المريض ليست هي الأصل، حرصاً على احترام أصحاب الفضل في أن نتعلم منهم ما يفيدهم ويفيدنا ويفيد من يمر بمثل معاناتهم، دون التعرض لشخصهم.